﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ [النّمل: 65]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبلَها:

من أدلّة الألوهيّة والتّوحيد اختصاصُه سبحانه بعِلْم الغيب

بعد أن فَصَّلَتِ الآيةُ السّابقة البراهينَ السّاطعةَ على قدرة الله سبحانه وأنّه وحدَه سبحانه المُختصّ بأمر الخَلْق والبعث والرّزق، شرعتْ هذه الآية في بيان أنَّهُ سبحانه كما هو المُخْتَصُّ بِالقُدْرَةِ المطلقة، فَكَذَلِكَ هو وحده المُخْتَصُّ بِعِلْمِ الغَيْبِ، فلَمّا أبْطَلَتِ الآياتُ السّابِقَةُ إلَهيَّةَ أصْنامِ المُشْرِكينَ بِالأدِلَّةِ المُتَظاهِرَةِ، فانْقَطَعَ دابِرُ عَقيدَةِ الإشْراكِ؛ ثُنِيَ عِنانُ الإبْطالِ إلى أثَرٍ من آثارِ الشِّرْكِ، وهو ادِّعاءُ عِلْمِ الغَيْبِ بالكَهانَةِ وإخْبارِ الجِنِّ، كما كانَ يَزْعُمُهُ الكُهّانُ والعَرّافونَ وسَدَنَةُ الأصْنامِ، ويُؤْمِنُ بِذَلِكَ المُشْرِكون، أو أنّ الكُفّار سألوا الرَّسول ﷺ عَنْ وقْتِ القيامَةِ الَّتي وُعِدوها وألَحّوا عَلَيْهِ في ذلك، فَنَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ﴾ الآيَةَ، فَمُناسَبَتُها عَلى هَذا لِما قَبْلَها من قَوْلِهِ تَعالى: ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أتَمُّ مُناسِبَةٍ[1]؛ إذ "بعدَما حقّق تفرّدَهُ تعالى بالأُلوهيّةِ ببيان اختصاصه بالقُدْرة الكاملة التّامة، والرّحمةِ الشّاملة العامّة، عقّبه بذِكر ما هو من لوازمه، وهو اختصاصُه بعِلْمِ الغيبِ؛ تكميلًا لِما قبلَه وتمهيدًا لما بعدَه من أمرِ البعثِ"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡغَيۡبَ﴾: (غيب) أَصْلٌ صَحيحٌ، يَدُلُّ على تَسَتُّرِ الشَّيْءِ عَنِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 12/ 448، وأبو حيّان، البحر المحيط: 16/ 469، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 19.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 296.

العُيونِ، مِنْ ذَلِكَ الغَيْبُ: ما غابَ، مِمّا لا يَعْلَمُهُ إلّا اللّه[1]. ويُقال للشّيء: غَيْبٌ وغائِبٌ باعتباره بالنّاس لا باللّه تعالى، فإنَّه لا يغيب عنه شيءٌ[2]. والمعنى المحوريُّ: الاختفاءُ استتارًا بكثيف في أثناء أو عُمْق[3]. والغيبُ في الآية: ما استأثر اللّهُ بعلمه، وحجبَ عنه خَلْقَه، والسّاعةُ من ذلك[4].

2) ﴿يَشْعُرُونَ﴾: (شعر) أَصْلانِ مَعْروفانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُما عَلَى ثَباتٍ، والآخَرُ عَلَى عِلْمٍ وعَلَم. ومنَ الثّاني: الشِّعارُ: الَّذي يَتَنادَى بِهِ القَوْمُ في الحَرْبِ ليَعْرِفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. والأَصْلُ قَوْلُهُمْ: شَعُرْتُ بِالشَّيْءِ، إذا عَلِمْتَهُ وفَطِنْتَ لَهُ. ولَيْتَ شِعْري، أَيْ: لَيْتَني عَلِمْتُ[5]. والمعنى المحوريّ: دقاقٌ كثيرة تنفذُ منَ البدن أوِ الأرض بامتداد، ومنه: (الشّعور) جنسٌ منَ العِلْم لطيفٌ دقيق، أخذًا من نفاذ الشَّعْر الدّقيق. والشِّعر والشُّعور: العِلْمُ الدّقيق أوِ الفطنة[6]، ويُطلَق الشُّعورُ على الإدراك بالحواسّ الخمس، وعلى مبادئ الإدراك، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، أي: ما يَدْرون وما يعلمون[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يأمر اللّهُ ﷻ نبيَّه ﷺ أن يقول للمشركين المعاندين ولجميع الخَلْق: لا يعلم أحدٌ من أهل السَّموات والأرض الغيبَ إلّا اللّه، فإنّه المُنفرِد بذلك وحْدَه لا شريكَ له، كما قال: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: 34]. وعن عائشة ﵂ قالت: "وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رسول اللّه ﷺ يُخْبِرُ بِما يَكونُ فِي غَدٍ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللّه الفِرْيَةَ. واللّه يَقولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾"[8]. ولمّا نفى عنهم علمَ الغيب على العموم، نفى عنهم

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غيب).
(2) الرّاغب، المفردات: (غيب).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غيب).
(4) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (غيب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شعر).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شعر).
(7) الرّاغب، المفردات: (شعر).
(8) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (457).

علمَ الغيبِ المَخصوصَ بوقت السّاعة، فصار منتفيًا مَرَّتين، فقال: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: وما يدري أهلُ السَّمَوات والأرض بوقت السّاعة، كما قال تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: 187]، أي: ثقل علمُها على أهل السّموات والأرض، فلا يشعُر الكفّار وغيرُهم في أيّ وقتٍ يكون البعث للحساب والجزاء، وإنّما تأتيهم السّاعةُ فجأة.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الجملة:

فُصِلَتِ الآية: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ عن سابقتها؛ لشبه كمالِ الاتصال بينهما، فوقعتِ الآيةُ التّالية استئنافًا بيانيًّا؛ إذِ انتقل الذِّكر الحكيم إلى بيان برهانٍ آخرَ من براهين التّوحيد وإثباتِ الأُلوهيَّة، وهو اختصاصُه سبحانَه بعِلْم الغيب، دون سائرِ مَنْ في السّماوات والأرض، وفي هذا الأسلوب منَ اللُّطف والدِّقَّة ما يَستثير عقولَ المُتلقّين لتأمُّل هذه الحقيقة الدّامغة، التي تُفضي إلى تثبيت الإيمان في نفوس المؤمنين، وتَحُثّ عقولَ الكفّار المُعانِدين على تأمّلها والتّفكّر فيها.

انفرادُه سبحانه بعلم الغيب برهانٌ عظيمٌ من براهين الأُلوهيّة

دلالةُ التّعبير بالأمر، والمرادُ بالمخاطَب به:

ابتدأ النّظمُ الحكيم الآيةَ بفعل الأمر ﴿قُل﴾؛ لما فيه من إعلانٍ امتثال النّبيِّ ﷺ في الصَّدع بما بيَّنه اللهُ ﷻ منَ الحُجَج الباهرة، والأدلّةِ السّاطعة التي لا يَرُدُّها إلّا مكابرٌ جاحدٌ.

التّفرُّد بعِلْم الغيب، يقتضي التّفرّدَ بالأمر والنّهي

دلالةُ التّعبير بالعِلْم في الآية:

عبّر النّظمُ الحكيم بفعل العِلْم دونَ غيرِه منَ الأفعال المفيدة للعِلْم مثل عرف، فقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ﴾؛ وذلك لبيان إحاطةِ العِلْم الإلهيّ بكلّ ما في السّماوات والأرض، فالفرقُ بَينَ العِلْم والمَعْرفة، أنّ المَعْرفة إدْراكُ الجُزئيّات، وهي تُستعمل في العِلْم القاصر المُتوصَّلِ

استمراريّةُ علمِ الله سبحانه بالغيب أبدًا دونَ انقطاعٍ أوِ انفصال

إليه بتَفكُّرٍ وتَدَبُّر، أمّا العِلْم فهو إدْراكُ الكلّيّات، وهو أَكثرُ وأَوسع إطلاقًا، ولِهَذا لا يجوز أَنْ يُقال: اللّهُ عارِف، كَما يُقال: عالم[1]. وقد جاء الفعل بصيغة المضارعة؛ للدّلالة على استمراريّة العِلْم الإلهيّ بالغيب أبدًا، دونَ انقطاع، والمقصودُ مِن تضافُر التّعبير بفعل العِلْم في صيغة المضارعة إبطالُ أثَرٍ مِن آثارِ الشِّرْك، وهو ادِّعاءُ عِلْم الغَيْب بالكَهانَة وإخْبارِ الجِنّ، كَما كانَ يَزْعُمُهُ الكُهّانُ والعَرّافونَ وسَدَنَةُ الأصْنام[2]. كما أنَّ نفيَ العِلْم هنا تأكيدٌ لانحصار علم الغَيب في العِلْم الإلَهيّ وحْدَه دونَ غيره، ردًّا على المشركين الذين بالغوا في طلب معرفة العِلْم بموعد الآخِر، ظنًّا منهم أنّهم بذلك يُبْطلون نبوّة الرَّسول ﷺ، فجاءتِ الآيةُ ردًّا على مزاعمهم وإفْكِهم؛ لحصر العِلْم بها عند اللّه وحدَه.

فائدةُ العُدول عن (ما) إلى ﴿مَن﴾:

عَبَّرَ النّظمُ الحكيم بأداةِ العُقَلاءِ ﴿مَن﴾ فقال تعالى: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، ولم يُعبّر بأداةِ غيرِ العقلاء (ما)؛ وذلك لِئَلّا يَخُصَّها مُتَعَنِّتٌ بِما لا يَعْقِلُ[3]. كما أنّ في استعمال ﴿مَن﴾ بدلًا عن (ما) تنزيلًا لِما لا يعقل منزلةَ مَنْ يعقلُ، وذلك بسبب وضوحِ الأدلّة القاهرة، ولِما تسوق إليه الفطرةُ السّليمة منَ الإقرار بوحدانيّته سبحانَه.

عـلـمُ الـغـيـبِ مـحـجـوبٌ عن جـمـيـع مَـنْ في الـسّـمـاوات والأرض

و﴿مَن﴾ هنا للعاقل، وإذا انتفى الغيبُ عنِ العُقلاء، فهو عن غيرهم أنفَى، وتشملُ العقلاءَ جميعًا، مَن يكونون في السّماوات والأرض، فيدخلُ في العموم الملائكةُ، والجِنّ والإنْس[4].

بلاغةُ القَصْر في الآية:

نفتِ الآيةُ الكريمة علمَ الغيب عن جميع من في السّماوات

قُـصِـرَ عِـلْـمُ الغيب على الله سبحانَه دونَ سِواه

(1) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 4/ 47.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 19.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 201.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5475 - 5476.

والأرض، وقَصَرته على اللّه سبحانه وحدَه دونَ شريكٍ له فيه، فقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾، وذلك باستعمال أسلوبِ القَصْر بـ ﴿لَّا﴾ النّافيةِ و﴿إِلَّا﴾. وللعلماء آراءٌ في ﴿إِلَّا﴾ في الآية، فمنهم من ذهب إلى أنّها أداةُ استثناء، وأنَّ الاستثناءَ متّصلٌ، أو أنَّها بمعنى (لكن) والاستثناء منقطع، أو أنّها بمعنى (غير) وهي مع لفظ الجلالة صفةٌ لـ﴿مَن﴾. ومنهم مَن ذهب إلى أنّ ﴿إِلَّا﴾ أداةُ حَصْر، والاستثناء مُفَرّغ[1]. وعلى جميع هذه الآراء فقد أجمعت كلمتُهم على أنّ المراد بالاستثناء في الآية الكريمة هو حَصْرُ عِلْم الغيب وقَصْرُه على اللّه وحْده دونَ سواه.

سِرُّ الإطنابِ في الآية:

من أسرار أساليبِ القرآن الإطنابُ في عرض القضايا الكبرى في علم العقيدة

المُتبادِرُ للأذهان من علم العربيّة أنّ نظم الآيةِ الكريمة لو جاء: (قل لا يعلم أحدٌ الغيبَ إلّا اللّه) لكان وافيًا بالمعنى المُراد، ولكنّ النّظم الحكيم عدَلَ عن هذا الإيجاز في العبارة إلى نوع منَ الإطناب لسرٍّ من أسرار الأساليب القرآنيّة، بأن ذَكَر ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بدلًا من (أحد)، برغم أنَّ المَخْلوقاتِ لا يَعْدونَ أنْ يَكونوا إمّا مِن أهْلِ السَّماواتِ أوْ مِن أهْلِ الأرْض؛ وذلك لِانْحِصارِ عَوالِمِ المَوْجوداتِ في ذَلِكَ كما هو معلوم عقلًا ونقلًا؛ ولكانَ قَوْلُهُ: ﴿لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ﴾ في قوَّةِ (لا يَعْلَمُ أحَدٌ الغَيْبَ)، ولَكِنّ النّظمَ المُعجز أطْنَبَ الكلامَ؛ لِقَصْدِ التَّنْصيصِ عَلى تَعْميمِ المَخْلوقاتِ، بحيثُ لا يغيب منها مخلوقٌ من المخلوقات كُلِّها، وذلك لسرٍّ بديعٍ وهو أنَّ مَقامَ عِلْمِ العَقيدَةِ مَقامُ بَيانٍ يُناسِبُهُ الإطْنابُ[2]، حتّى تمتلئَ النّفسُ يقينًا بانحصار علمِ الغيب عند اللّه وحدَه دونَ سواه.

(1) الخطيب وآخرون، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 20/ 22 - 23.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 19.

فائدةُ الطّباقِ بين ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

عمومُ علمِ الله سبحانه بالغيب في جميع مُلْكه

جاء الطّباق بين ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مُبْرزًا لعموم عِلْمه سبحانَه بالغيب وحدَه، وأنّه لا أحدَ في السّماوات باتّساعها، والأرضِ بتنوّع مخلوقاتِها، داخلٌ في قضية عِلْم الغيب، بل هي محصورةٌ في عِلْم الله ﷻ.

فائدةُ جمعِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:

تأكيدُ مفارقةِ عِلْمِ اللهِ سبحانه لعِلْم غيرِه منَ المخلوقات

جاءت كلمةُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في الآية الكريمة جمعًا، على خلاف الآيةِ السّابقة؛ لأنّ الحديث فيها عن عِلْم الله سبحانه، ومن مُسَلّمات عِلْمه الذي تعبَّدَنا به أنّ السّماواتِ متعدّدةٌ وليست سماءً واحدةً، كما يتبادر إلى حواسّ الإنسان عامّةً، وكما يتذرّع المشركون خاصّةً، فجاء النّظمُ هنا بالجمع لتأكيد المفارقةِ بين عِلْمه ﷻ وعِلْم غيره منَ المخلوقات.

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلۡغَيۡبَ﴾:

نفيُ عِلْمِ الغيبِ بينَ العمومِ والجنسِ والاستغراق

تعدّدتِ الآراءُ في نوع اللّام في كلمة ﴿ٱلۡغَيۡبَ﴾، فمنهم من قال: هي للعموم، ومنهم من قال: هي للجنس، ومنهم من قال: هي للاستغراق، كما تعدّدت أقوالُ المفسّرين في بيان المُراد بالغيب، والظّاهرُ أنّه عُمومُ الغَيْب، وقيلَ: المُرادُ بِهِ السّاعَةُ، وقيلَ: ما يُضْمِرُهُ أَهْلُ السَّماواتِ والأَرْضِ في قُلوبِهِمْ، وقيلَ: المُرادُ جِنْسُ الغَيْبِ، ويَلْزَمُ مِن نَفْيِ عِلْمِ جِنْسِهِ عَنْ غَيْرِهِ ﷻ، نَفْيُ عِلْمِ كُلِّ فَرْدٍ مِن أَفْرادِهِ عَنْ ذَلِكَ الغَيْرِ، ولا يَضُرُّ في ذَلِكَ أنَّ الآيَةَ لا تَدُلُّ حِينَئِذٍ عَلى ثُبوتِ عِلْمِ كُلِّ غَيْبٍ لَهُ ﷻ بَلْ قُصارى ما تَدُلُّ عَلَيْهِ ثُبوتُ عِلْمِ جِنْسِ الغَيْبِ لَهُ سُبْحانَهُ؛ لِأَنَّهُ المَنفيُّ صَريحًا عَنِ المُسْتَثْنى مِنهُ، ولا يَلْزَمُ مِن ثُبوتِ عِلْمِ هَذا الجِنْسِ ثُبوتُ عِلْمِ كُلِّ فَرْدٍ مِن أَفْرادِهِ؛ لِأَنَّها لَمْ تُسَقْ لِلِاسْتِدْلالِ بِها عَلى ذَلِكَ، وكَمْ وكَمْ مِن دَلِيلٍ عَقْلِيٍّ ونَقْلِيٍّ يَدُلُّ عَلَيْهِ. واخْتارَ بَعْضُهُمُ الِاسْتِغْراقَ، أيْ: لا يَعْلَمُ مَن في السَّماواتِ والأَرْضِ

كُلَّ غَيْبٍ إلّا الله، فَإنَّهُ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ كُلَّ غَيْبٍ لِأنَّهُ الأوْفَقُ بِالمَقام، واعْتُرِضَ بِأنَّهُ يَلْزَمُ أنْ يَكونَ مِن أهْلِ السَّماواتِ والأرْضِ مَن يَعْلَمُ بَعْضَ الغُيوبِ، وظاهِرُ كَلامِ كَثيرٍ مِنَ الأجِلَّةِ يَأْبى ذَلِكَ[1].

إيثارُ التّعبيرِ باسمِ الجلالةِ في ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾:

القضايا العقديّةُ الكبرى تحتاجُ إلى ذِكْرِ الاسم الجامع (الله)

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ولم يعبّر بأيّ اسمٍ آخرَ من أسمائه الجليلة؛ وذلك لأنّ منَ الأساليب القرآنيّة الحرصَ على التّعبير بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ في القضايا العقديّة الكلّيّةِ الكُبرى، تأكيدًا لخصائص هذا الاسم العظيم، الذي هو عَلَمٌ على الذّات الواجبِ الوجودِ، المُستجْمِعِ لجميع صفاتِ الكمال الإلَهيّة، المَنعوتِ بنعوت الرّبوبيّة، المُنفردِ بالوجود الحقيقيّ، فهو اسمٌ للمَوجود الحَقّ، الواجبِ الوجودِ، المُستَحِقِّ للعبادة، وقد صرح جمعٌ منَ العلماء بأنّه اسمُ اللّه الأعظم، ولم يتّسمَّ به غيرُه، ولذلك لم يُثَنَّ ولم يُجمع، وهو أحدُ تأويلَيْ قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: 65]، أي: هل تعلمُ مَن تسمّى باسمه الذي هو (اللّه). ولأنّ اسم ﴿ٱللَّهُ﴾ عَلَمٌ دالٌّ على الإله الحقّ دلالةً جامعةً لجميع الأسماء الحسنى، فهو يوصف بجميع الصّفات ولا يوْصَف به غيرُه؛ لأنّه الغايةُ لجميع الأسماء، فكلُّ اسمٍ بعدَه لا يتعرّفُ إلّا به[2].

دلالةُ النّفي بـ (ما) في ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾:

تأكيدُ نفيِ عِلْمِ الغيبِ عن غير اللّه عمومًا وخصوصًا

بعد أن نفتِ الآيةُ عِلْمَ الغيبِ عن غير اللّه على وجه العموم، جاء قولُه تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ لنَفي عِلْم الغيب المخصوص بوقت السّاعة، فصار منتفيًا مرّتين، مَرّةً في النّفي العامّ، ومَرّة أُخرى في النّفي الخاصّ، وما ذاكَ إلّا لأنّ قضية عِلْم الغيب منَ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 20/ 73.
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (ألـه).

القضايا التي ضلّتْ فيها الأفهامُ، وكثُرتْ فيها الأباطيلُ والأوهام، فجاء النّظمُ الحكيم ليَقطعَ القولَ في هذه القضية الحاسمةِ، ويَفْصلَ فيها النِزاع.

دلالةُ الفعل ﴿يَشْعُرُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

نفيُ خاصّيّةِ الشّعور عنِ الكافرين المعاندين بسبب ضعفِ عقولهم وسوء إدراكِهم

جاء النّظمُ الحكيم بنفي عِلْم هؤلاء المشركين بالغيب، الذي يطالبون به رسولَ الله ﷺ على وجه العموم، ثمّ أرْدَفَ هَذا الخَبَرَ ببلاغة الإدْماج، وهو تضمين كلام سيق لمعنًى معنًى آخرَ[1]، فأدْمَج في انْتفاءِ عِلْم هَؤُلاءِ الزّاعمينَ عِلْمَ الغَيْبِ أنَّهم لا يَشْعُرونَ بِوَقْتِ بَعْثِهِمْ بَلْ جَحَدوا وُقوعَهُ؛ إثارَةً للتَّذْكيرِ بالبَعْثِ لِشِدَّةِ عِنايَةِ القُرْآنِ بإثْباتِه، وتَسْفيهِ الَّذينَ أنْكَروهُ. فَذَلِكَ مَوْقِعُ قَوْلِه: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، أيْ: إنَّ الَّذينَ يَزْعُمونَ عِلْمَ الغَيْبِ ما يَشْعُرونَ بِوَقْتِ بَعْثِهِمْ[2]. وقد آثَرَ النّظمُ الحكيم استعمالَ الفعل ﴿يَشْعُرُونَ﴾؛ لأنّ الشّعورَ لغةً إنّما يتركّز في الأساس على الإدراك العقليّ، فنفَى عنهم القرآنُ هذا الشّعورَ بموعد البعث حتّى وقتِ قيامِه؛ تبكيتًا لهم على ضعف عقولِهم وسوءِ إدراكِهم. وأمّا ورودُ الفعل في صيغة المضارعة فلِتَأكيدِ نفْيِ شعورِهم بالبعث باستمرارٍ بسبب تبلُّدِهم؛ لأنّهم في عَماية منَ الشَّكّ والضَّلال كما ستُفَصّل الآيةُ التّالية. وضَميرُ الجَمْعِ لِلْكَفَرَةِ وإنْ كانَ عَدَمُ الشُّعورِ بِما ذَكَرَ عامًّا؛ لِئَلّا يَلْزَمَ التَّفْكيكُ بَيْنَهُ وبَيْنَ ما يُذْكَرُ بَعْدُ مِنَ الضَّمائِرِ الخاصَّةِ بِهِمْ قَطْعًا، وقيلَ: الكُلُّ لِـ ﴿مَن﴾، وإسْنادُ خَواصِّ الكَفَرَةِ إلى الجَميعِ مِن قَبيلِ: بَنو فُلانٍ فَعَلوا كَذا، والفاعِلُ بَعْضٌ مِنهُمْ[3].

بلاغةُ إيثارِ اسمِ الاستفهام ﴿أَيَّانَ﴾ دون (أين):

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ اسمُ الاستفهام

(1) بسيوني فيود، علم البديع، ص: 259.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 20.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 296، والآلوسيّ، روح المعاني: 20/ 41.

﴿أَيَّانَ﴾ يأتي في اللّغة بمعنى (متى)، وهو موضوعٌ للسّؤال عنِ الزّمن، وهو اسمُ استفهامٍ مبنيٌّ لتضمُّنِه معنى الوقت، جامدٌ غيرُ متصرّفٍ، مركّبٌ من: (أيّ) الاستفهاميّة، و(آن) وهو الوقت، ثمّ خفِّفت (أي)، وقُلِبت همزة (آن) ياءً ليتأتّى الإدغامُ، فصارت ﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى: أيُّ زمن[1]، وهي مَعْمولةٌ لِـ﴿يُبْعَثُونَ﴾، والجُمْلَةُ في مَوْضِعِ النَّصْبِ بِـ﴿يَشْعُرُونَ﴾، وعُلِّقَتْ ﴿يَشْعُرُونَ﴾ لِمَكانِ الِاسْتِفْهامِ. وقد عدلَ النّظمُ الحكيم عنِ اسم الاستفهام (أين) إلى اسم الاستفهام ﴿أَيَّانَ﴾؛ لأنَّ سؤالَهم كان عن أوان وقوعِ السّاعة تحديدًا، فناسبَ المقامَ.

نفيُ الشّعور بزَمن البعثِ مناسبٌ لسؤالهم عن وقت قيامِ السّاعة

دلالةُ الفعلِ ﴿يُبْعَثُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

لمّا كان يومُ البعث هو اليومُ الَّذي يقوم فيها الخَلْق إلى الحساب، أشارتِ الآيةُ الكريمة إلى كذب هؤلاء المُعاندين وجَهْلِهم بوقت البعث أو بغيره، ممّا حجَبَه اللّهُ عنهم. والضّميرُ في ﴿يُبْعَثُونَ﴾ للكفرة كما هو في ﴿يَشْعُرُونَ﴾، وإن كان غيرُهم داخلًا فيهم، والتّعبيرُ بهذا الفعل دونَ غيره تَوَرُّكٌ وتَعْييرٌ لِلْمُشْرِكينَ؛ فَإنَّهم لا يُؤْمِنونَ بِالبَعْثِ، بَلْهَ شُعورُهم بِوَقْتِهِ[2]. وقد جاء الفعل مبنيًّا للمفعول، وكان الظّاهر أن يُبْنَى للفاعل، فيكون النّظمُ: (وما يشعرون أيان نبعثهم)؛ لأنّ الخطاب منَ اللّه ﷻ للمشركين، ولكنّ النّظمَ الحكيم عدلَ إلى صيغة المبنيّ للمفعول؛ لتوجيه النّظر إلى حَدَثِ بَعْثِ الخَلْق يومَ القيامة؛ إشعارًا بعَظَمة يومِ البعث وهَوْلِه.

التّذكيرُ بالبعث تورّكٌ على المشركين المُنكرين له وتعييرٌ لهم

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الغيب والآخِرة:

الغيبُ: هو كلُّ ما استأثر اللّهُ بعلمه، وحجبَ عنه خَلْقَه من أحوال

عمومُ الغَيب وخصوصُ الآخِرة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 201.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 21.

الدّنيا والآخرة، كالقدر، والجنّة والنّار، والبعث بعد الموت، وأحوالِ يوم القيامة، وملائكته وكتبه ورسله.

وأمّا الآخرة: فهي مؤنّثُ الآخر، وهو اسم يُقابَل به الأوّل، موضوعٌ للنّهاية؛ كما أنَّ مقابلَه للبداية، مشتقّ من أَخَرَ يَأْخِرُ، والأَخير والأَخيرة بمعنى الآخِر، والآخِرة. ويُعبّر بالدّار الآخِرة عن النّشأة الثّانية؛ كما يُعَبّر بالدّار الدّنيا عن النّشأة الأولى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت: 64]، وربّما تُرك ذكرُ الدّار؛ كقوله: ﴿لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾ [هود: 16][1]. ولمّا كانت الآخرةُ من أمور الغيب الخاصّةِ التي استأثر اللّهُ بعلمها، فقد جيءَ بها هنا؛ لأنّها منَ الخاصّ، والغيبُ منَ العامّ.

الشّعور والإحساس:

الشّعورُ متعلّقٌ بالأمور العقليّة والعاطفيّة، أمّا الإحساسُ فمتعلّقٌ بالحواسّ غالبًا

الشّعورُ: جنسٌ منَ العِلْم لطيفٌ دقيقٌ، أخذًا من نفاذ الشّعْر الدّقيق. والشِّعْرُ والشُّعور: هو العِلْمُ الدّقيق أو الفِطْنة، ويُطلَق الشُّعور على الإدراك بالحواسّ الخَمس، وعلى مبادئ الإدراك، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي: ما يدرون وما يعلمون، ويغلب أن يكون في الأمور العقليّة والعاطفيّة.

وأمّا الإحساسُ: فمتعلّقٌ بالحواسّ الظّاهرة في الأغلب، ويجوز أن يدْرِكَ الإنسانُ الشَّيْءَ وإن لم يحسَّ به، كالشّيء يُدْرِكُهُ ببصره ويغفلُ عَنهُ، فَلا يعرفهُ. وقال أهلُ اللُّغَة: كلُّ ما شَعرت به فقد أحسَسْتَه، ومَعْناهُ: أَدْرَكتَهُ بحسِّكَ، وفي القُرْآن: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ [الأنبياء: 12]، وفيه: ﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: 87] أي: بإحساسكم[2]. ولمّا كان البعثُ مخفيًّا لا يعلمه إلّا اللّه، عَبَّر عن نفي إدراكه بالشُّعور؛ ليَنفيَ العِلْمَ به بالحَواسّ الخَمْس مُطلقًا.

(1) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (آخر) و(غيب).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 90.

البَعث والنّشور:

البـعـثُ سابقٌ على النّشور

بعثُ الخَلْق: اسمٌ لإخراجهم من قُبورهم إلَى الموقف، ومِنْه قَوْله تَعالَى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: 52]، والنّشور اسْمٌ لظُهور المبعوثين وظُهورِ أعمارِهم لِلْخَلائِق، ومِنْه قَوْلك: نشرت اسْمَكَ، ونشرت فَضيلَة فلانٍ، إلّا أَنّه قيل: أنشر اللّهُ المَوْتَى بِالألف، ونَشرتُ الفَضيلَةَ والثَّوْبَ للْفَرْق بَينَ المَعْنَيين[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك: 15]. وعبّر بـ ﴿يُبۡعَثُونَ﴾؛ لأنهم يَنفون البعثَ ابتداءً، وهو الإخراجُ منَ القُبور، وهي مرحلةٌ سابقة للنّشر بظُهور المبعوثين وأعمارِهم.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 289.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»